الأديب والعالم

بقلم الشاعر السوفياتي
رسول حمزاتوف

ها هو(*) خريف اوزبكستان من جديد يحتضننا بلمعان اضوائه وضجيج شوارعه وهدير قنواته . وها انا من جديد اقف على المنبر نفسه الذي وقفت عليه منذ عشر سنوات فأرى امامي الوجوه العزيزة ـ وجوه اصدقائي القدامى واصدقائي الجدد واشعر وكأني اتصفح عشرة مجلدات للكتاب الكبير الذي الفناه نحن واياكم عن كفاحنا وحبنا ، عن الجمال والبشاعة ، عن اضواء الحياة الساحرة والوان الحداء للشهداء ، عن الانهار الغزيرة المياه لامانينا والسيول العفنة لخيبة آمالنا . انه لكتاب عن الارض والسلم والشعوب والاحداث والسنين .

وليست الاعوام والاحداث وحدها ، بل الافكار والتأملات تزيدنا رشدا وصوابا وحكمة وقوة وتكاملا . لقد شاهدنا كثيرا خلال هذه السنين العشر . لقد شاهدنا موت الشهداء وخيانة الاصدقاء وكانت الدماء تراق على الارض هنا وهناك وحصلت زلازل في الطبيعة بل في الشعور والعقول .

خلاصة القول ان مآسي كل العصور والازمنة ـ واقصد بها الحرب والخيانة والكذب والدمار والفقر ـ لا **تزال على الارض . ونحن حملة القلم ورجال الفكر لا** يحق لنا ان نهز الهواء بالكلام الفارغ .

ان كل كلمة نبوق بها يجب ان تكون لها قوة واصالة وان تحتوي على فكرة معينة اذ اننا نعبر عن افكار الملايين . اننا لسنا بالبهلوانيين الذين يرقصون على الحبل وينحنون تارة الى اليسار وتارة الى اليمين . لقد جئنا **الى هذا العالم لنقول كلمتنا . فلنكن اذا مسؤولين عما** نقوله . لقد جئنا الى هذا العالم كي نعرف مكاننا وندافع عن هذا المكان . على الانسان ان يعتز ليس بممتلكاته بل بآرائه وافكاره ومواقفه .

لقد ولدت في داغستان البعيدة في قرية صغيرة . وفي ايام الطفولة كنت اتشاجر مع اترابي دفاعا عن شرف العائلة ، ثم كبرت وكنت اقاتل من اجل قريتي ، ثم جمهوريتي داغستان ثم من اجل بلادي الكبيرة كلها . واليوم ارى نفسي مسؤولا عن كرتنا الارضية باسرها وعن مصير كل انسان ومصير البشرية جمعاء . اليوم لا **يجوز لي ولا يجوز لاحد منا ان نكمن في قوقعتنا اذ ان** قريتي والعالم كله اليوم قد اصبحا وحدة عضوية لا تنفصم .

يقال انه لا بد من موقد في وسط العالم حتى تصل اشعته ونيرانه الى كل زوايا الارض مهما كانت بعيدة . **وان كنا عاجزين عن تغيير موقف الشمس فاننا لقادرون** على اشعال ذلك الموقد للنور والدفء ، موقد الشعر والموسيقى ليكون وليد فننا موضوع عنايتنا المشتركة . **على ذلك الموقد ان يشتعل الى الابد وان يبقى في** وسط العالم على ملتقى جميع الاحداث والعواصف والحركات والصراعات .

قال الشاعر الروسي الكبير « نكراسوف » مرة :

« كان النضال يمنعني من أن اكون شاعرا
وكانت الاغاني تمنعني من ان اكون مناضلا »

اما انا فاعتقد ان الشعر بلا نضال هو شعر بلا حب، اما النضال من غير الشعر فانه ليس نضالا بل هو عنف. ولذا فمن الافضل ان نقول اليوم : « أن النضال يساعدني ان اكون شاعرا والاغاني تشجعني على ان اكون مناضلا» .

اني لاحسد ذلك الشاعر الذي يستطيع اليوم ان يقول عن نفسه ما قيل عن بوشكين : « انا عبد للشرف ، كنت اناشد وادعو الى الرحمة للمذلين » .

اننا في نضالنا نلاقي الفهم والعطف من جانب كما نلاقي الشك والانتظار من جانب اخر ثم الشماتة والافتراء من جانب ثالث والضلال من جانب رابع .

ويقول البعض عنا اننا لم نجتمع هنا كي نناقش في قضايا الادب واننا بعيدون كل البعد عن لغة الجمال والفن ، واننا نفضل السياسة على الاخلاص للفن والادب وقد جمعنا هدف سياسي بحت . ان هؤلاء يتمنون ان نتناقش في جمال الشروق والغروب وان نتناسى الحرائق ، انهم يودون ان نغني في روعة الاشجار المخضوضرة ونصمت عن الديدان التي تحاول ان تهلك تلك الاشجار ، ان نتغنى بجمال عيون النساء حينما تفرح وتضحك وان نصرف انظارنا عنها حينما تبكي . انهم يحبون ان يخضع العالم للاديب بينما يجب العكس، يجب ان يكون الفن في خدمة الانسان ، في خدمة الحياة .

وهناك اخرون يتهربون من اي نقاش معنا ويتهموننا باننا اذ نتكلم في الشعر والموسيقى ، في الادب واساليبه ننصرف عن المواضيع السياسية اذ ان السياسة في واد والجمال في واد اخر . ان هؤلاء يرفضون مجرد ذكر كلمات مثل « الحب » و « جمال امرأة » اللذين لا يمكن

(*) نص الكلمة التي القاها الشاعر في « ندوة طشقند » ، ٢١ ـ ٢٤ ايلول الماضي .

لاي شاعر ان يستغني عنها في قصائده . فهؤلاء الناس يفضلون الشعارات على الشعر والخطب على الموسيقى والتأمل . انهم ينسبون الى الشعر مجرد الشكل اذ ان اهتمام الشاعر بشكل شعره يعني في نظرهم «الشكلية» . انهم ينادون بالموسيقى بدون لحن والفن التشكيلي بدون خيال . لا ، يا حضرات السادة ، اننا لسنا ببغوات من حديقة الحيوانات في بيتي . اننا بشر لحما ودما ، وواجبنا نحن الادباء ان نروي للبشر عن الحياة والموت بكل ما لدينا من الاساليب والطرق والمهارة والفن . وبين كل المهن والحرف البشرية انا شخصيا احب الطب ، مع انني لم ادرس الطب يوما وليس لدي شهادة طبيب . لقد زرت هيروشيما وتحدثت هناك مع الاطباء . وقال لي احدهم انه كان يحلم بمهنة اخرى لكنه قرر ان يكون طبيبا بعدما شاهد مآسي هيروشيما وابنائها الذين كانوا يموتون من الامراض الذرية . ثم قابلت هناك ايضا شاعرا قال لي : « اني لم اولد شاعرا ، لكن مآسي مدينتي قد شحذت شعوري وايقظت في نفسي بركانا من العواطف فتحولت الى قصائد . وهكذا اصبحت شاعرا » .

لقد رأيت في هذا العالم نوعين من الناس : قسم كانوا اعداء للحياة ، وقسم اخر كانوا اطباء لها ، قسم كانوا يعادون الجمال وقسم كانوا يطببون به .

وعلينا ، نحن رجال الادب والفن ، ان نكون اطباء للحياة حتى نستحق رسالتنا .

في القرن الماضي عندما كان اهل داغستان بزعامة « جميل » يقاتلون الاستعمار القيصري قام الجراح الروسي المشهور بعملية جراحية صعبة لاحد من ابناء داغستان وبذلك انقذ حياته . فقال ذلك الرجل : طوال حياتي وانا احمل سكينا كأداة للموت . لكنه يبدو ان السكين في بعض الاحيان يكون اداة للحياة . السكين في **ايدي الجراح لا ينقذ حياة الانسان وحسب بل ينقذ** انسانا من الانسان » .

ان كرتنا الارضية اليوم بحاجة الى مساعدة الطبيب . وقلمنا هو بمثابة سكين الجراح الواقف امام الارض الجريح .

ان عالمنا مصاب اليوم بجميع انواع الامراض ، من امراض العصبية والقلبية وامراض الاطفال . انه يعلن عن ذلك على رؤوس الاشهاد ، وليس لدينا ما يدعونا الى ان نشك في صدقه . علينا ان نصغي بمنتهى الاهتمام الى **صوته ونمس نبضه ونكون دقيقين في تشخيص مرضه** ونقوم بعلاجه حتى شفائه الكامل .

قال ابن سينا : « اني قادر على كل الامراض الا الموت » . وعلينا اليوم ان نقول لامتنا الكرة الارضية : نحن ، شعراءك ، نقوم بدور الطبيب . فلتكن اغانينا دواء لك ، فلتحمل قصائدنا شفاء لك ، فلتكوني على اتم الصحة والعافية على الدوام ، فلتزدادي شبابا وكمالا سنة عن اخرى . هذه هي رسالة الاديب .

ترجمتها عن الروسية
ايلينا ستيفانوفا

الوجه الآخر لأميركا... الفقر في الولايات المتحدة

بقلم ميكايل هارنغتون

ليس « الوجه الآخر لاميركا » رحلة عاطفية يقوم بها في احياء « ولفير ستيت » كاتب اميركي غاضب امام الخمسين مليونا من الفقراء المنسيين المنبوذين . بل ان « ميكايل هارنغتون » يعلن غضبه وثورته بصفته عالما اجتماعيا واقتصاديا . ان الفقر في الولايات المتحدة كتلة ، دولة ضمن الدولة ، نظام خلقه نظام. وليس فيه ما يشبه البؤس الاسيوي الذي يعتبر القضاء عليه هدفا قوميا لانه نصيب الاكثرية . ولكن هل يستطيع الاميركيون الذين ينعم ثلاثة ارباعهم باعلى مستوى للحياة في العالم ان يتحملوا وقتا طويلا مشهد هذا الفقر الذي لا مثيل له ، وهؤلاء الفقراء (الخمسين مليونا) الذين لم يعرف التاريخ اعجب منهم ؟

والمؤلف يبرهن ، كما يقول كاتب المقدمة كلود روا ، ان كون الانسان فقيرا لا يعني انه يملك مالا اقل من غيره ، بل ان القلة لديه في كل شيء ، في الذكاء ، في الصحة المعنوية والبدنية ، في الروح الاجتماعية . « ان الفقر لا يعني ان الانسان يملك اقل ، بل يعني ايضا انه يعيش اقل ! » .

يصدر في الشهر القادم